القسم الثالث
اللغة بين الإدراك والتعبير عند ميرلوبونتى

الحسين الزاوى

خلف الصمت المدوى تنبعث الكلمات الهادئة فى حكمتها المحافظة ومعانيها المتوثبة والمستفزة ، لتعلن عن الميلاد البطىء والواثق لخلايا وأنسجة النص المرئى المتوارى خلف الممكنات بتقطعاته وامتداداته . . فسؤال الوجود هو ذاك الذى يخترق دوماً الذات فى صمتها المتكلّم وكلامها الصامت، ليؤسس تعابير تتجاوز انغلاق الذات الهائمة فى مغامراتها نحو ذوات تتبلور عبر أفق تواصلها وامتزاجها الخلاق.

وتلك هى إذن السيرورة الجدلية المتواترة ما بين الناطق والمنطوق بين المتكلِّم والمتكلَّم، حيث تتجسد داخل المسافة الفاصلة بين قطبى المعادلة التعبيرية ماهية الكلام بكلّ أبعاده الزاخرة بالمعانى والدلالات.

من اللغة والتعبير ابتدأ «ميرلوبونتى» M.Merleau - ponty وإليها لجأ قبل أن ينتهى كجسد مع الموت المفاجئ . . أجل لم يكن هو فيلسوف اللغة الأوحد ولكنه كان فيلسوفاً لأشكال التعبير بامتياز، حيث استطاعت نصوصه أن تتمفصل بين جنبات المرئى واللامرئى بين الصمت والكلام المنصت، بين الألوان والرسوم ونغمات الأصوات المرحة والبريئة ، وبين العلامة والكلمة ليصل إلى محطات التعالى الفلسفى مع المفهوم فى أكثر من موقع من مواقع فلسفته الإدراكية . . لقد آمن كبقية أبناء جيله بأشياء الواقع لكنه لم يكن من طينة أولئك الذين تستغرقهم استطاع بإيمان كبير أن يجعل ذاته تستشعر بحساسية عميقة ذوات الآخرين.

وإذا كانت اللغة فى الفلسفة المعاصرة تتمظهر كإشكالية محورية انطلاقاً من مفاهيم متعددة ، فإن «ميرلوبونتى» قد أعطى الصدارة والامتياز لمفهوم الكلام بتفرعاته المتعددة وفى علاقتـه الجدلية مع الدلالـة والمعنى وهو ما ينبّهنا إليه

«شاركوسى J.P. Charcosset» فى دراسته المتميزة التى نشرت ضمن العدد الخاص الذى برمجته مجلة Esprit لفكر «ميرلوبونتى».

فهناك أفضلية للكلام على الخطاب انطلاقاً من الحالة المعاصرة التى شهدت تضاعفاً مهولاً للخطابات المتمحورة حول الخطاب وهو الأمر الذى دفع بميرلوبونتى بداية من كتابه الموسوم بـ «فينومينولوچيا الإدراك» إلى التأكيد على التفرقة الموجودة بين ما يسميه بالكلام المتكلمِّ أو الناطق والكلام والمتكلمَّ أو المنطوق الأمر الذى يحيلنا بشكل من الأشكال إلى التميز الذى وضعه هايدغر Heidegger ما بين الكلام والثرثرة[1].

وانسجاماً مع المنطق نفسه فإنّ الكلام المتكلمَّ يدفعنا دوما إلى الماضى فى الوقت الذى ينقلنا فيه الكلام المتكلمِّ إلى ملاحظة الحالة التى يعاصر انطلاقاً منها ذاته فى لحظة توجهه نحو المستقبل، ومن ثمة فإنّ الكلام المتكلمَّ يتم التعرف عليه انطلاقاً من كوننا مأخوذين من طرفه، ولكى يكون بإمكان الكلام أن يتكلمَّ ، يتعين علينا فى البداية أن نقبض عليه وذلك ما يجعل من كلّ كلام متكلِّم Parole parlante كلاما افتتاحياً وهو أمر نادر الحدوث؛ وبالتالى فانطلاقاً من تلك الخاصية الجوهرية يتخذ الكلام المتكلَّم طابعه غير المتوقع إلى حد بعيد[2].

وعليه فإنّ تحليل ظاهرة الكلام عند ميرلوبونتى لا يأخذ مداه الكامل انطلاقاً من كونه موضوعاً من بين مواضيع أخرى تتناولها فلسفته ولكنه يتعلق ويرتبط بها من الداخل، لأنّ مشكلة اللغة تبدو فى نظره، مثلما هو واضح فى عدة مواقع من كتابه الذى يحمل عنوان: «علامات» كمشكلة خاصة وفى الوقت ذاته كمشكلة تتضمن كلّ المشاكل الأخرى بما فيها إشكالية الفلسفة فى عمومها وتضاريسها ومواضيعها المتعددة.

إنّ ما يسعى «ميرلوبونتى» إلى البرهنة عليه بشكل خاص، هو أنّ دلالة ومعنى كلام ما هى دائماً دلالة مؤجلة متحققة ولكن مع وقف التنفيذ وبالتالى فإنّه لا يجب، بحسب وجهة نظره ، أن نبحث عن الدلالة داخل الكلمات ولا فوقها لأنّ

المعنى لا يمكن أن يكون موجوداً فوق الجملة مثلما «تستلقى» الزبدة فوق شريحة الخبز . . إنّه يوجد ما بين الكلمات وأيضاً فيما هو لاحق عليها وذلك ما يدفع بنا إلى التأكيد على أن السلطة المفارقة للكلام تنبع انطلاقاً من أنّه يقول فى المجموع أكثر مما يستطيع قوله كلمة بكلمة إضافة إلى كونه يتجاوز نفسه[3].

وفى السياق نفسه يؤكد فيلسوف التعبير والإدراك أنّ الكلام الفاعل والمؤثر يدفع إلى التفكير مثلماً أنّ الفكر الحىّ يجد بشكل بارع كلماته، لأنّه لا وجود للفكر أو للغة بمعزل عن بعضهما البعض فكلا النظامين يشطر نفسه عند الامتحان ويلقى بشراعه نحو الآخر. فهناك الكلام الحصيف والعاقل الذى نسميه فكراً والكلام الناقص أو المؤجل الذى نسميه لغة[4].

وهكذا فإن العمليات التعبيرية بالنسبة له تتم ما بين قطبين واتجاهين أساسيين هما الكلام المفكر والفكر المتكلمّ وليس انطلاقاً مما نردده بنوع من الاستخفاف فى تعابيرنا الشائعة أى بين الفكر واللغة، وبالتالى فإنّه ليس لكونهما متوازيين يمكننا أن نتكلم، ولكن لأنّنا نتكلم يمكن لهما أنّ يكونا متوازيين[5].

إنّ اللغة هى من أكثر المعطيات الإنسانية بعداً عن الآلية، فهى ليست بالشىء المتحقق كلية وليس بإمكانها أن تحقق شيئاً ما بشكل كامل، إنّها ترمز وتشير أكثر مما تنجز وتجسّد ، فضمن فضاء الممكن والمفتوح وانطلاقاً من أفق اللااكتمال والصدفة يمكنها أن تبلور أكثر المعانى إيحاء فى مسيرة الكينونة والوجود، وبذلك فإنّ اللغة لا يمكنها أن تكون إبداعية إلا إذا توقفنا عن مطالبتها فى كلّ لحظة من لحظات إشراقها، بتقديم ما تمتلكه من تبريرات قبل أن نعقد العزم على الالتحاق بها إلى حيث تمضى ، بل يجب علينا أن نترك الكلمات وكل وسائل التعبير الخاصة بالكتاب تتوشح بتلك الهالة من المعانى التى تستدعيها مختلف السياقات[6].

من المؤكد أن المسار الفلسفى «لميرلوبونتى» ما كان بإمكانه أن يصل إلى وجهته المعروفة دون وجود تأثير عميق للنزعة الفينومينولوجية فى فلسفته، فأفكار «هوسرل Husserl» حاضرة فى أكثر من موقع انطلاقاً من كونها قد استطاعت أن تساهم فى

توجيه وتحديد رهاناته سواء تعلق الأمر بالمسألة اللغوية أو بإشكاليات أخرى محايثة لها وهو ما يمكن التنبيه إليه انطلاقاً من تأكيده أن الفينومينولوچيا تضيف إلى معرفة اللسان، تجربة اللسان La langue بداخلنا، تماماً مثلما أنّ البيداغوجيا تضيف إلى معرفة المفاهيم الرياضية تلك التجربة المتعلقة بما تصبح عليها داخل ذهن من يتعلمونها ، وتجربة الكلام لا يكون لديها إذن، وفق ما سبق، أى شيء لتعلمنا إياه، ولن يكون لديها أيضاً بعداً أنطولوچيا، وهو ما يمكن أن نعتبره مستحيلاً، وفق ما يراه «ميرلوبونتى» ، فبمجرد أن نميّز إلى جانب العلم الموضوعى للغة، فينومينولوچيا خاصة بالكلام، فإنّنا نضع فى المسار جدلية يستطيع كلا الاختصاصين أن يدخلا انطلاقاً منها فى تواصل ما بينهما.

ومن ثمة فإنّه ومنذ البداية فإنّ وجهة النظر «الذاتية» تغلّف وتتضمن وجهة النظر «الموضوعية» والتزامنى Synchronie يتضمن التعاقبى Diachronie ، وبالتالى فإنّ ماضى اللغة ابتدأ بأن كان حاضراً[7] لأن التاريخ هو بشكل من الأشكال تدوين لأشكال التزامن المتتالية، والحاضر متضمن فى الماضى انطلاقاً من كون هذا الأخير قد شكّل بدوره حاضراً لماضٍ بائد. . وما تعلمنا إياه فينومينولوچيا اللغة، ليس مجرد نوع من الفضول البسيكولوجى، إنّها تحيلنا إلى لسان ولغة اللسانيين بداخلنا لكلّ الخصوصيات التى تضاف إليها وذلك ما يمكن أن نعتبره بمثابة تصور جديد لكائن اللغة[8].

إنّ مهمة التعبير بالنسبة لـ «ميرلوبونتى»، تماماً مثلما هو الحال عليه عند «شومسكى»، تتجاوز نطاق التواصل والتبليغ لأنّ الكائن الإنسانى حينما يعبّر فإنّه يسعى إلى تأكيد وجود ذاته من خلال البحث عنها داخل فعل التعبير، فهو لا يقوم فقط بالتعبير من أجل الآخرين، إنّه يعبر ليكتشف أنّه موجود وليحدد وجهته ويعرف بشكل أكثر وضوحاً ما يريد أن يصل إليه، فالتعبير يبحث عن فكر غير متجسد أكثر مما يعبر أو يفصح عن فكر منجز ومتبلور لأنّ الثقافة ، كما ينبهنا «ميرلوبونتى»، لا تقدم لنا دلالات شفافة كما أنّ عملية نشأة المعنى تبقى بعيدة عن الاكتمال والتحقق.

واللغة يمكن أن تستنزف طاقتها إذا تحولت إلى مجرد تقرير للواقع مهما عظم شأنه وازدادت أهميته. . إن اللغة فى حقيقة الأمر تجسيد لدعوة مفتوحة نحو آفاق جديدة تبتدأ مع فعل اللغة ولا تنتهى معه لتسمح بذلك بإمكانية البحث والمغامرة[9]، من أجل تعقب كل الفضاءات التى ما تزال ثاوية ومتوارية خلف الأنظار.

كما أنّ معنى الفلسفة هو من ناحية أخرى، معنى مرادف لفعل النشأة ولا يمكن تجميعه خارج نطاق الزمن إنّه تعبير دائم يخضع لمنطق حصيف، فخـــارج الفلسفة لا يمكن للكاتب أن يتملكه إحساس بملامسة الأشياء حتى انطلاقاً من عملية استعمال اللغة وليس بعيداً عنها أو ضمن سياق يتجاوزها. ومالارميه Mallarmé نفسه يعرف أنّه لا شىء يمكن أن ينبع من ريشته إذا بقى وفيا إلى أبعد الحدود لأمنيته فى أن يقول كلّ ما لديه دون أن يترك شيئاً، كما أنّه يعلم جيداً أنه ما كان بإمكانه أن يؤلف كتباً صغيرة إلا بعد تخيله عن حلم تأليف كتاب يعفيه من إنجاز باقى الكتب[10].

ويحيلنا «ميرلوبونتى» فى كتابه «فينومينولوچيا الإدراك» على تداعيات طبيعة اللغة فى علاقتها بتجلياتها من أفكار ومعانى ، فاللّغة تحمل معانى متعددة بكل تأكيد لكنها فى المقابل لا تفترض التفكير إنّها تعمل على تحقيقه ولا وجود بالتالى لفكر خارج الكلمات التى تصبح شيئاً متحققاً بفضل التعبير. والكلام ليس فعلا ولا يبرز الإمكانيات الداخلية للذات: فالإنسان يمكن أن يتكلم تماماً بمثل الطريقة التى تجعل المصباح الكهربائى يتوهج[11].

وهناك من جهة أخرى استئناف لفكر الآخر من خلال الكلام، وتفكير فى الآخر، وبالتالى نشوء سلطة التفكير انطلاقاً من الآخر الذى يثرى أفكارنا الخاصة[12] إنه نوع من «التذوات» أو «البينذاتية Intersubjectivité » حيث تتقاطع الذوات المفكرة وتتواصل فيما بينها من خلال التعابير والإيحاءات وانطلاقا من أصوات الكلام وصمت الكلمات بمعانيها ودلالالتها وعلاماتها المرئية والمسموعة، فالكلمة توجد فى مكان ما من عالمى اللسانى أو اللغوى، إنّها تشكل جزءاً من الجهاز الذى أمتلكه وليس لدى سوى وسيلة وحيدة لتمثيلها، وهى أن أقوم بالنطق أو التفوّه بها،

مثلما أنّ الفنان ليس لديه إلا وسيلة وحيدة لتمثيل العمل الذى يشتغل عليه وهو أن ينجزة[13]، لأن الكلام ليس علامة الفكر إذا كنا نعنى بذلك فى سياق ما أنّ ظاهرة تعلن عن وجود ظاهرة أخرى مثلما ينبئنا الدخان بوجود النار، فالكلام والفكر لا يقبلان بمثل هذه العلاقة الخارجية إلا إذا كانا هما الاثنان يشكلان كلّ واحد منهما موضوعاً معطى سلفا، فهما فى واقع الأمر متداخلان الواحد ضمن الآخر، فالمعنى مأخوذ داخل الكلام والكلام بمثابة الوجود الخارجى للمعنى.

وعليه فإنّ «ميرلوبونتى» يعتقد أنّ الفكر ليس بشىء داخلى ولا وجود له خارج العالم وخارج الكلمات.. وما يدفعنا إلى الخطأ ويؤدى بنا من ثمة إلى الاعتقاد بإمكانية تمثل فكر يوجد مستقلا بذاته قبل فعل التعبير هو وجود أفكار مؤسسة بشكل مسبق وفى مراحل متباعدة من حياتنا قمنا بالتعبير عنها من قبل ونعمل على تذكرها بشكل صامت ويخترقنا بشأنها وهم خادع يجعلنا نعتقد أن لها حياة سابقة.. لكن الحقيقة هى مغايرة تماماً لكل تلك الظنون لأنّ ذلك الصمت المزعوم هو هدير للكلام وتلك الحياة الداخلية هى عبارة عن لغة باطنية[14].

ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ من ناحية أخرى أنّ هناك علاقة وثيقة ما بين الحركات اللسانية والمعانى التى ترسمها لنفسها، وانطلاقاً من تلك الملاحظة يمكننا أن نصل إلى إشكالية فلسفية عميقة استطاعت أن تحظى باهتمام واسع من طرف الفلاسفة طيلة قرون عديدة ألا وهى إشكالية أصل اللغة التى تعود إلى البروز كلما توهمنا أننا استطعنا التخلص منها بفعل هيمنة الطرح الوضعى على المعرفة اللغوية، والحال أنه نستطيع أن نؤجل موضوعاً فلسفياً إذا ما اعتقدنا بعدم إمكانية دراسته بشكل إجرائي وفق الشروط المنهجية والمفاهيمية التى نعاصرها، ولكنه ليس بإمكاننا فى المقابل أن نلغيه أو أن نزيحه كلية من سجلات البحث الفلسفى، وذلك ما دفع بـ«ميرلوبونتى» إلى التأكيد على أنّ إشكالية أصل اللغة مازالت تشكل موضوعاً ملحاً[١٥]. ويذهب من ناحية أخرى فى تحليله لمواضيع المسألة اللغوية إلى دراسة

مرض الحبسة اللغوية L'aphasie من أجل توضيح أفكاره ومواقفه من اللغة خاصة فى علاقتها بالفكر والذاكرة والإدراك مستنداً فى ذلك على عدة أمثلة توضيحية تتعلق بكيفية تعامل المريض مع الألوان فى الواقع ومع الكلمات التى تحيل إليها.

ويشير «ميرلوبونتى» إلى العلاقة الموجودة بين الإدراك واللغة فى كتابه المرئى واللامرئى بقوله: «إننى أصف الإدراك كما نظام لضبط العلامات (. . .) ومع ذلك يوجد ذلك الخلاف بين الإدراك واللغة - وهو أن أرى بها الأشياء المدركة وعلى العكس، المدلولات لا مرئية. فالوجود الطبيعى ساكن من داخله ويمكن لنظرتى أن تتوقف عنده فالوجود الذى تكون اللغة منزله لا يمكن أن يحدد نفسه أن ينظر إلى نفسه، إنه لا يوجد إلا من بعيد»[16]، فالإدراك بالمعنى الذى يؤسس له «ميرلوبونتى» لا يمكن أن يختزل إلى مجرد عملية من العمليات التى تستهدف تشكيل مجموعة من الأشياء أمام الذات المدركة لتحولها إلى أشياء متجانسة وفقاً للأنماط السائدة، لأن الإدراك هو محور كينونة الكائن ووسيلة انفتاحه على الآخر والكون، وهو يكمن ويتجسد فى الأساس فى فعل الانطلاق الذى تؤطره الـذات من أجل اكتشاف العالم[17]، وجعله أكثر ألفة من خلال تفجير كل المعانى الكامنة التى يحتويها والتى يمكن أن توظف وفقاً لسياقات متعددة ولأجل خدمة رهانات مختلفة ومتعارضة.

وفى المحاضرات التى ألقاها فى «الكوليج دوفرانس» يؤكد «ميرلوبونتى» فى درس من دروسه على العلاقة الموجودة بين اللغة وأنظمة الشفرات ويشدد على أن الشفرة تمتلك وتتضمن عقلانية لا تحتوى عليها اللغة لأنها محصلة أعراف وتقاليد متعددة وبالتالى فاللسان هو بمثابة اتفاق يتعلق بقانون عرفى وليس بقانون مكتوب ، ومنه فهى تحتفظ بنسيج تكوينى وتركيبى يتجاوز بكثير طاقتنا الاستعمالية المرتبطة بسيرورة اللغة وتظل الإمكانيات التى يتم الاحتفاظ بها فى أرشيف اللغة وتركيباتها المتاحة قائمة ، فاللغة ليست فقط منتوجاً للعقل؛ إنها تؤسس كذلك العقل ذاته لكونها تمتلك منطقها الخاص؛ وعليه فإن «الشفرة ليست لساناً مثلما أن الرجل الآلى ليس [تعبيراً] عن الحياة»[18].

ويعتقد «ميرلوبونتى» أن العناصر التى تؤسس الإشكالية اللغوية لا يمكن الفصل بينها بشكل عشوائى وخارج سياق التحليل الإجرائى للعناصر المدروسة ، ومن ثمة ليس هناك مجال لتأكيد أفضلية عنصر على آخر، فبالنسبة للعلاقة الموجودة بين المعنى واللغة نجده ينبهنا أن اللغة ليست فى خدمة المعنى كما أنها لا تتحكم فيه، ولا إمكانية للحديث عن تبعية أحدهما للآخر؛ وبالتالى لا أحد يأمر والآخر يطيع وينفّذ، لأن مانريد قوله ليس أمامنا خارج كل كلام وكأنه عبارة عن دلالة صافية ومحضة[19].

وما سبق هو جزء من أجزاء إشكالية أخرى تناولها الفيلسوف فى مؤلفه «المرئى واللامرئى» وذلك ما دفعه إلى الإشارة فى سياق مغاير أنّ: « المعنى لا مرئى، ولكن اللامرئى ليس هو نقيض المرئى: فالمرئى نفسه يمتلك جزءاً لا مرئياً، واللامرئى هو الرأى المخالف السرى للمرئى، ولا يظهر إلا من داخله ، إنّه النفى الخالص الذى يقدم لى (كلامرئى) فى العالم - لا يمكننا أن نراه فيه، وكل مجهود يبذل لرؤيته يعمل على إخفائه، ولكنه موجود داخل خط المرئى، وهو مسكنه الفرضى والمضمر، إنّه ينحفر فيه كما (خيوط الزخرف)[20].

ومثلما أنّ اللامرئى ليس عدما، فإنّ الصمت ليس فراغاً، ويمكننا أن نزعم أنه ملىء بمعنى ما يزال مسجوناً يفترض منا أن نعمل على إطلاق سراحه وتخليصه من قيوده وأغلاله، ومن ثمة يتعين علينا أن نبحث عن فرص ممكنة لإدماج العمق داخل الإدراك وتقريب اللغة من عالم الصمت.

وعلى العموم فإن الأمر لا يتعلق بالكلام عن الأشياء أو حولها، ولا حتى عن الطبيعة بكل امتداداتها ، ولكنه يتصل أكثر بضرورة ترك الأشياء أو الطبيعة تتكلم لوحدها، وفى خضم هذه المحاولة بالذات يتجلى امتياز الرسم لأنّ العمل التصويرى يتكلم ولكن دون خطاب[21].

فى كتاب «نثر العالم La prose du monde» وانطلاقاً من الفصل المخصص للكلام يحاول «ميرلوبونتى» أن يبرهن أنّ الدلالة المفاهيمية تنبثق وتبرز بالاستناد على

دلالة الحركات الجسدية والتى هى أبعد عن أن تكون مجرد مؤشرات عابرة للدلالة لأنّ العلامات اللفظية تدفع بها نحو التحقق[22].

ويمكننا أن نؤكد تأسيساً على ما سبق بلورته من أفكار، أنّه عندما نتكلم نستطيع أن نضاعف من التعابير، فقد يحدث لنا أن نتردد فى الاختيار، أثناء سيرورة الكلام، ما بين تعابير متنافسة ونعمل على المقابلة بين تعابير أخرى متجاورة ونصحح تعبيراً غير موفق بتعبير آخر أكثر ملاءمة للسياق المطروح، ومثلما أنّ فكرة الإدراك الكامل ينتج عنها نوع من اللامعنى، فإنّ التعبير لا يمكنه أن يكون كاملاً أبداً وبالتالى فإنّ فكرة وجود ملفوظ أو قول كامل هى مسألة تفتقد إلى المعقولية والدقة[23]. لأنّ انفتاح القول على الممكن هو أكثر عمقاً من القول الذى يدعى الانغلاق على ما يقول، وكما أنّ الصمت يسهم إلى حد بعيد فى ميلاد ونشأة الكلام وفى تحديد معانيه وضبط سياقاته، فإنّ الكلمات الغائبة لها أثر بالغ فى اختيار وتبلور الكلمات الحاضرة وفق سلم أولويات يتم تعديله وإثراؤه باستمرار.

لقد كان «ميرلوبونتى» شغوفاً إلى حد بعيد بفينومينولوچيا «هوسرل» وردد بإعجاب كبير عبارته المشهورة التى يؤكد فيها أن «الذاتية المتعالية هى نوع من التذاوات Intersubjectivité» لأنّ الكائن لا يتكلم إلا من خلال الآخرين، وحينما تتكلم الذات فإنّها تكون بالنسبة لوعيها الخاص شخصاً آخر، وعندما تشرع فى الفهم فإنّها تصبح عاجزة عن معرفة من المتكلم ومن المستمع لأن وجود الآخر ليس فقط شرطاً لإمكانية الكلام بل هو ضرورة من أجل تحقيق الفهم واستكمال سيرورة الإنجاز أين تتداخل ذات المتكلم حتى حدود التماهى مع ذات المستمع ليصبح كلّ منهما مستمعاً ومتكلماً فى ذات اللحظة[24]، وهذه الفكرة الأصلية والمحورية فى فلسفة «ميرلوبونتى»، نجده يرددها فى أكثر من موقع فى مؤلفاته المتعددة ويعبر عنها فى مؤلفه «المرئى واللامرئى»، بقوله: «وكلمات الآخرين تجعلنى أتكلم وأفكر لأنّها تخلق فى داخلى آخر غيرى(...) وتؤلف كلمات الآخر شبكة أرى فكرى من خلالها»[25].

«إن التعبير يتخطى بشكل دائم ما ينقله»، عبارة طالما رددها «ميرلوبونتى» نتيجة للإرث الفينومنولوجى الذى جعل نصوصه تدخل فى جدل حوارى مع نصوص «هوسرل» الذى أدخل، كما هو معروف ، فى مؤلفه «أفكار رئيسية من أجل الفينومينولوجيا» مفهوم «Noema» أى ما يتم التفكير فيه حتى يعالج بشكل جيّد العلاقة التى يمكن أن توجد ما بين التعبير أو اللغة بشكل عام من جهة ومعنى الموضوع المطروح من جهة أخرى، فالموضوع الذى يحيل إليه تعبير ما يصبح موضوعاً قصدياً والفعل القصدى يصبح قصدا أو قصدية دلالية، حيث أنّه وبفعل دلالاته يمكن لتعبير لسانى أن يحيل إلى موضوع ما، وفى حالة انعدام الدلالة ، فإنّ التعبير اللسانى يكون تتابعاً محضاً من الإشارات والأصوات، لأنّ الدلالة تمثل معنى «الذى هو بمثابة دلالة الفعل الممنوح من طرف نشاط أو فعل التفكير «Noesis» الذى يحدد موضوع المرجع كما يؤكد ذلك Pol Vandevelde ، وهذا ما يفسر أنّه بالإمكان أن يكون لتعبير ما دلالة دون أن يكون مرتبطاً بموضوع مرجعى، فالتعبير اللسانى لا يملك فعل تفكير خاص به «Noesis» إنّه يستقبل دلالته من فعل التفكير الذى هو جزء مؤسس للفعل القصدى[26].

ومع توسيعه من أهمية اللغة فى إطار العلاقة ما بين الذات الموضوع، فإنّ «هوسرل» كان حذراً فى محاولته استنتاج أنّ المواضيع تتأسس داخل اللغة أو أنّ الاستعمال الملائم للغة هو ضمان لوجود مواضيع يمكننا أن نحيل إليها أثناء التكلم. . إنّ اللغة ليست سوى وسيلة بالنسبة للممارسة الفينومينولوجية التى يجب أن تستخدم أحسن الأدوات المتاحة. . ومع ذلك فإنّ اللغة يمكنها أن تتدخل من أجل تأسيس الموضوع فى حد ذاته بالمعنى الذى لا تصبح فيه الأفعال الذهنية الماقبل لسانية مواضيع للتحقيق إلا بُعد أن يتم «التعبير عنها»[27].

وفى النصوص الصادرة سنة ١٩١٤ يؤكد «هوسرل» أن العلامة لا يتم التعامل معها كعلامة قائمة بالمعنى الكامل إلا إذا تم التعرف عليها بوصفها كذلك من طرف المستمع أو القارئ ويمكن أن نضيف حتى المتكلم نفسه[28]. وهذا الموقف يتقاطع إلى

حد بعيد مع النظرة التى بلورها دى سوسير فيما يتعلق بالعلامة والتى يؤكد فيها على ضرورة التعرف على العلامة من طرف المتلقى بوصفها علامة، من خلال توليدها لاستجابة تأويلية فى مساره الإدراكى، ورغم ذلك فإنّ هوسرل لا يتعامل مع سيرورة الدلالة التى تجمع ما بين المتكلم والمستمع انطلاقاً من كونها علامة سيميوطيقية ولكن كنوع من التطابق مع الغير. وسيعمل «ميرلوبونتى» فيما بعد على توطيد هذا المنحى غير الواضح لفعل التذاوت Intersubjectivité عند «هوسرل» ليجعل من اللغة المجال الخصب والأمثل لالتقاء الذوات من خلال الحضور الفعال للآخر عبر مختلف مراحل السيرورة اللغوية.

كما أن «هوسرل» وانطلاقاً من كتابه «أصل الهندسة» تمكن من إضافة بعد جديد للغة، التى لم تعد مجرد تصور ينطلق من فينومينولوجيا ساكنة تصبح اللغة بموجبها كأداة تصلح فقط للتعبير وتسجيل المعنى. فاللغة يتم تصورها فى هذا السياق الجديد كفينومينولوجيا تطمح لأن تكون تكوينية Génétique [٢٩] ، وفى السياق نفسه يؤكد الفيلسوف بشكل واضح: « أنّ الإنسانية تتعرف على نفسها بداية كوحدة وكتجمع للغة فورية وغير مباشرة.. وبكل بداهة فإنه بفضل اللغة فقط، ونتيجة للامتداد والاتساع الهائل لإبداعاتها Consignations ، كتواصل افتراضى أمكن لأفق الإنسانية أن يكون بمثابة لاتناه مفتوح، مثلما هو عليه بالنسبة للبشر»[30]، ويشير «هوسرل» من جهة أخـــرى إلى أنّ: « كل شىء له اسمـــه أو لنقـــل كلّ شىء قابـــل للتسمية بمعنى واسع جدا، أى معبراً عنه داخل لغـــة. إنّ العالم الموضوعى هو من الوهلة الأولى لدى الجميع، ذاك العالم الذى هو بالنسبة «لكل الناس» بمثابة أفق للعالم Tout le Monde ، وكائنه الموضوعى يفترض ويتعامل مع البشر بوصفهم بشرا يمثلون ذواتا للغتهم الكونية. واللغة هى من جانبهم وظيفة وسلطة تتم ممارستها، وهى مضافة بشكل متلازم إلى العالم الكونى للموضوعات، انطلاقاً من كونها قابلة لأن يعبّر عنها داخل لغة.. »[31].

أمّا بالنسبة للفينومينولوجيا، كما يتم التعبير عنها وبلورتها عند «ميرلوبونتى» ، فإننا نجد أنّ العالم حاضر قبل كل تفكير، وهو حضور غير قابل للتصرف فيه بل

ويتوجب وصفه من دون تحليله ، فالإدراك لا يعنى بتاتاً ممارسة الحكم، ذلك أن الواقع فى نهاية المطاف يجب أن يوصف لا أن يؤسس[32].

ويمكن القول أنّه ومهما كان نوع الإجراء الذى يسمح بالهيكلة وفق الطريقة الجشطالتية، فإنّه بالنسبة لـ «ميرلوبونتى»، كل ما لنا تجربة تتعلق به يحمل بالضرورة شكلاً، أى أنّه مزود بمعنى بالنسبة للذات، وهذه الظاهرة المرتبطة بـ «اتخاذ صفة الشكل» الخاصة بالموضوع، ولكن كذلك بالذات أيضاً، تستجيب لقواعد وإيقاعات مختلفة ومتباينة من تلك الأكثر اختلافاً إلى ما هو أكثر اندماجاً ، ومن الإدراك «الصلب» للواقع إلى الرؤية الأكثر ذاتية والحالمة تقريباً للعالم، حيث أنّه وكلما ابتعدنا عن أنساق الحلم والهلوسة كلما تأكدت أكثر للمعنى، تلك الغيرية غير القابلة للاختزال عن العالم، وعن الموضوع فى مقابل الذات. . وهذه الجدلية ما بين الغيرية والانتماء هى كذلك بمثابة الأساس الذى تستند عليه ابستمولوچية «ميرلوبونتى»[33].

إن الفينومينولوجيا كما يوظفها ميرلوبونتى تقصى - كما تشير إلى ذلك بوزاتو Maria Pozzato بنفس الدرجة وتجليات الغيرية المطلقة للواقع وكذلك الذاتية المطلقة للفكرة وتسعى لأن تضع مكانهما شكلاً من أشكال الالتئام الأصلى للذات مع العالم، الذى هو بمثابة« إدراك وتصور أولى للكائن وللقيمة» التى تحدد نوعاً من الجدلية الأساسية بالنسبة للتفكير السيميوطيقى، والمتعلقة بالعلاقة ما بين الشكل والمحتوى، فبالنسبة لـ «ميرلوبونتى» يعمل الشكل على إدماج المحتوى لدرجة أن هذا الأخير يبدو وكأنه مجرد كيفية تابعة للشكل فى حد ذاته. . ولكن يبقى المحتوى فى نفس الوقت، بمثابة شىء يحدث بشكل جذرى، كما هو الحال عليه بالنسبة للمؤسسة أو التأسيس الأول للمعرفة وللفعل، وكما هو الأمر عليه كذلك عند الإمساك الأول للكائن وللقيمة أين لا يمكن للمعرفة وللفعل أن ينتهيا من استنفاذ الغنى الملموس، وأين يحددان المنهج العفوى فى كل اتجاه[34]. ويبدو لنا فى هذا السياق أن اللفظ الذى يشير إلى المحتوى يشمل المعنيين اللذين كان هيمسليف Hjelmsleve يقدمهما للفظ الذى يشير إلى المادة Substance ، والمتعلقة «بالبقية غير المحللة» لأية نظرية من النظريات، وهو ما يخص إذن مستويات التجريد والتبديه

Axiomatisation وكذا «التقديرات الجماعية» والتى ترتبط بشكل عكسى بالسيميوطيقا وبشكل خاص بمستويات تنظيم مادة المحتوى[35] وسواء تعلق الأمر بشكل أو مادة المحتوى فإننا نتموقع حسب التقسيم الذى وضعه هيمسليف ضمن مستوى المدلول فى مقابل مستوى الدال الذى يملك هو الآخر جوانب ثنائية تتصل بمفهومى الشكل والمادة.

إنّ ميرلوبونتى يتمثل الخطاطة الجسمية انطلاقا من تنظيمها الخاص الذى له دور حاسم من خلال تقديمه توجيها ودلالة معينة للعالم، وعليه فإنّ وجهة نظر كلّ من «هيمسليف» و«ميرلوبونتى» فيما يرتبط بإشكالية الدلالة تبدو متقاربة ومتكاملة[36].

كما أن فينومينولوچيا ميرلوبونتى تقترح على السيميوطيقا آفاقاً وإمكانيات مرتبطة بالسيرورة الأساسية المنطلقة من الذات نحو الموضوع ، كما تقترح نوعاً من المراجعة لذلك التعارض الموجود ما بين الفاعل والمنفعل بالمعنى المتعلق بالتدرج.

وحينما تقبل السيميوطيقا ، مثلما هو الحال عليه فى الفلسفة، بمثل هذا الاقتراح فإنها تجد نفسها انطلاقاً من ذلك فى حاجة إلى بلورة لغة واصفة قادرة على وصف مثل هذه السيرورة. وقد قام «ميرلوبونتى» فى هذا السياق بتقديم عدة اعتراضات على النظرية الجشطالتية التى عملت باستمرار على توضيح الإدراك انطلاقاً من مفردات الأسباب والنتائج[37] . وهكذا فالدلالة عند ميرلوبونتى ترتبط وتلتقى إلى حد بعيد مع مفهومين لكلمة معنى. لأنّ المعنى يبدو فى حقيقة الأمر متمثلاً بشكل غير منفصل فى اللحظة ذاتها بوصفه كدلالة من جهة أولى ولكونه يمثل وجهة من جهة ثانية[38].

وعلى خلاف التصور الكلاسيكى للإدراك الذى يتخذ صفة التنظيم والتأويل للأحاسيس انطلاقاً من مخزوناتنا من المفاهيم والتصورات ومحتويات الذاكرة ، فإنّ الإدراك عند ميرلوبونتى خاصة ما يرتبط منه باللغة والذات المتكلمة يفترض فعل الاقتراب والتجاور بعيدا عن الامتلاك المباشر بمعناه الحصرى وذلك انطلاقاً من التقاطع الذى يمكن أن يحدث ما بين المكان كجسد والمكان كامتداد ، حيث يؤكد فى

مؤلفه المرئى واللامرئى أنّ: « الذات المتكلمة : هى ذات التطبيق العملى . . وهى لا تمسك أمامها بالكلمات المنطوقة والمدركة كما موضوعات للفكر أو للتفاكر . . وهى لا تمتلك تلك الكلمات إلا بواسطة الامتلاك المسبق الذى هو نوع من الامتلاك المسبق للمكان بواسطة جسدى الذى يوجد فيه . . وذلك يعنى: يوجد نقص معين لـ . . هذا المدلول أو ذاك الذى لا يشيد بنية ذلك الذى ينقصه (. . .) ما يجب توضيحه: إنه الانقلاب الذى تحدثه الكلمة فى الوجود ما قبل - اللغة، فالكلمة لا تغير ذلك الوجود أولاً، إنّما هى أولا نفسها، «لغة ذاتية المركز» ، ولكنها تحمل مع ذلك خميرة التغيير التى ستقدم المعنى المتصرف . . »[39].

ويستعيد ميرلوبونتى حلم الفلاسفة فى تأسيس لغة كونية تخلصنا من شوائب اللغات المستعملة من خلال العودة لأشكال تعبيرية مغايرة تتصل أساساً بمجالات الفن مثل الرسم، ويشير فى هامش من هوامش كتابه «العين والعقل» من خلال تساؤل يحمل أبعاداً منهجية عميقة إلى ذلك بقوله: « . . لماذا لا ننتج نحن إذن بشكل منهجى صورا كاملة للعالم، ورسماً كونياً مستقلاً ومتحرراً من الفن الشخصى، مثلما تحررنا اللغة الكونية من كلّ العلاقات الغامضة التى تتشبث باللغات الموجودة؟»[40].

وترتبط إشكالية الدلالة عند «ميرلوبونتى» من ناحية أخرى بمفهوم الأسلوب وبمعانى الكتابة فإذا كانت الكتابة على سبيل المثال مرادفة للاختلاف عند جاك دريدا فإنّها عنده هى الأسلوب فى حد ذاته الذى: « . . يشبه» عالما غفلاً، وهو شرط يستبق الدلالة ، ولكنّه هو نفسه غير مميز فى تحديدات معينة، إنّ الأسلوب ليس شيئاً ينبثق عن الكاتب أو الفنان، وليس أثراً يخلقه نتاج مكتوب أو مرسم، إنّما الأسلوب يتموضع فى المكان الذى «تمنح» العلامات فيه عالم الخبرة «شكلاً»، وحيث تصبح الدلالة ممكنة»[41]، وهكذا فالأسلوب يسمح بتحويل ما هو مضمر أو ضمنى إلى خانة الصريح والمعبر عنه؛ أو لنقل هو انتقال من اللامرئى إلى المرئى ومن أفق الممكن إلى مجال الكائن انطلاقاً من فعل الكتابة الذى يعتبر المجال الحيوى الذى يسمح بتبلور ونشأة الأسلوب ، كما أن الكتاب: « . . تتشكل من ماضيها، وتعاد إلى

ماضيها، وينمّيها الماضى لأغراض قراءتها الحاضرة. ويتيح الأسلوب للغة أن تتكلم بطريقة معينة ، كما يتيح الأسلوب للماضى أن يتكلم بهيأة يمكن التعرف عليها حتى بعد وفاة الكاتب»[42].

ويمكن القول من جهة أخرى أن مختلف الإبداعات وكافة معطيات التعبير والإفصاح والإبانة ومجالات المعنى والدلالة تتبلور انطلاقا من تلك المعادلة الرئيسية التى تربط عند ميرلوبونتى ما بين الكلام المتكلِّم أو الناطق والكلام المتكلَّم أو المنطوق وفى عملية الانتقال بين كلا القطبين يحدث الإبداع بمختلف صوره وبتعدد أماكنه وسياقاته :« فالكلام المنطوق» نتاج ثقافى يدخل فى الأشكال الأدبية والجمالية الأخرى مثل الرسم، والكتابة، والنحت، إلخ، غير أن «الكلام المنطوق» لا يعبّر بالضرورة عن مستوى ثقافى عال على وجه الحصر. فقوائم البقالة والوثائق القانونية هى أيضاً «كلام منطوق» ، وعلى أية حال، فإنّ التمييز بين الكلام المنطوق والكلام الناطق ليس تمييزاً بسيطاً جداً حتى عند ميرلوبونتى: فـ «الكلام المنطوق» متضمن قبلاً فى «الكلام الناطق» (. . .) وما يريد الكلام الناطق قوله فى كلام منطوق إنما هو تعبير، والإيماءة هى شكل من أشكال التعبير (. . .) ، وتضافر الكلام الناطق والكلام المنطوق هو تضافر أساسى هنا، والتعبير مثال على ذلك التضافر بحيث لا تبدو كتابة الكتابة مجرد إنتاج منتجات ثقافية أعيد إدماجها (. . .) بل هى - وهذا هو الأهم - تكلّم الكلام»[43].

وللوصول إلى مثل تلك الاستنتاجات كان على «ميرلوبونتى» أن يجوب أصقاع «الكرة» الإبداعية حتى يكون بإمكانه التوصل إلى معاينة لحظات الميلاد المختلفة لنشاط وفاعلية الذات المبدعة والمفكرة ومن ثمة فلم يكن من طينة الفلاسفة النسقيين لأنّه حاول أن يشيد صرحه الفكرى على أسس تؤمن بتكامل المعارف وتداخلها بل وتمارس ذلك الامتزاج وتبلوره وفق ميكانيزمات فى غاية العمق والبساطة فى سياق تشكيلات متعددة من المحاولات الغنية بالإيحاءات والدلالات المعبرة التى يحتضنها نص جامع يصهر فى بوتقته كلّ الإمكانيات التى بإمكانها أن تسمح للتعبير أن يتجسد دون أن يتوقف عن الخفقان ، وعن الحلم بحياة تستمر فى التوهج بعد أن تنتهى

لحظات الإعلان عن التأسيسات الأولى، إنه نص من نوع تلك النصوص التى تطمح أن تلملم أشلاء الواقع بكل افتراضاته وتنظيراته التى تستعصى ليس فقط على كلّ محاولات الإمساك بل حتى على تقنيات المقاربة والتمثل.

ويتقاطع «ميرلوبونتى» مع النص الأدبى فى سياق العلاقة التى تربطه بـ«بروست»، ويمكن القول أنّ الحركية الموجودة ما بين الذات والموضوع عند كلّ واحد منهما ، تنتمى بشكل أساسى إلى منطق خاص بالإلهام، ففى الفلسفة كما هو الحال عليه كذلك فى الأدب يجب أن ننتظر إلهاماً يتعلق بشىء ما، لا يتضايف لا مع الذات ولا مع الموضوع، حتى وإن كان هذا الشىء المنتظر معبر عنه فى سياق الاتجاه القديم للواقعية الفلسفية التى تحيل إلى «الأشياء فى ذاتها» ، لأنّه من الواضح أن كلاهما لا يحيل على الواقع بشكل ساذج[44]، وتمثل الفلسفة بالنسبة لميرلوبونتى ذلك الفضاء الفسيح الذى نفتح العالم انطلاقاً منه أمام الإنسان فالفلسفة: «ليست مجرد مصطلحات ، ولا هى تهتم «بمعانى الكلمات» ولا تبحث عن بديل شكلى للعالم الذى نراه، وهى كذلك لا تحوله إلى مقولة ، ولا تدخل فى ميدان القول أو الكتابة كما عالم المنطق فى الشرح، أو كما الشاعر فى اللغة أو كما الموسيقى فى الموسيقى، إنّما هى الأشياء نفسها بحد ذاتها التى تود الفلسفة أن تقودها من أعماق صمتها إلى التعبير»[45]، فميرلوبونتى يحاول أن يدفعنا إلى الحديث عن الأشياء بدل الاكتفاء باستخدامها ومنعها من الإفصاح عن ما تختزله من نقاط متعددة قادرة على الإيضاح وتشكيل المعانى ، وتأسيس الدلالات . . ويعمد إلى توضيح ذلك فى «نثـر العالم» حيث يقرر بصدد لغـة أخرى، لغـة نقدية، وفلسفية، وكلية، أن «من الضرورى لهذه اللغة أن تسعى إلى تمالك نفسها، وأن تسيطر، من خلال النقد، على خفايا إبداعية أسلوبها الخاص، وأن تتحدث عن الكلام بدلاً من استخدامه فقط، وبعبارة أخرى، على روح اللغة أن تكوّن، أو تدّعى أن تكوّن ، روحا لذاتها، وألا تحوز شيئاً لا يأتى منها هى ذاتها (. . .) فاللغة النقدية، والكتابة النقدية، تلتمس سبر أغوار الكيفية التى يستهل بها الأسلوب جدته، والكيفية التى يقوم فيها الأسلوب مقام شرط مسبق لإعادة إدماج اللغة. . .»[46].

إن الممكن بالنسبة لفلسفة ميرلوبونتى ليس هو ما يتحقق فى اللحظة فى برهة الوعى المرتحل؛ إنه ذلك الذى يظل منفتحاً ويسمح بانبثاق ممكنات أخرى عبر خاصية اللاإكتمال التى تجعل للإبداع حياة تتجاوز فى رحابة تضاريسها كل الرهانات الضيقة والمنغلقة . . يقول «ميرلوبونتى» :« إذا لم يكن هناك رسم قادر على إكمال فن الرسم وإذا لم يكن هناك كذلك أى عمل قابل للاكتمال بشكل كامل، فإن كل إبداع يتغير، ينحرف، يضىء، يعمق، يؤكد، يعظم، يعيد إبداع أو يبدع مسبقاً كل الإبداعات الأخرى. . وإذا كانت الإبداعات لا تعتبر شيئاً مكتسباً، فلذلك لا يعود فقط لكونها تمضى مثل كل الأشياء، ولكن كذلك لأن كل حياتها تقريباً ما زالت مفتوحة أمامها»[47].

وهكذا فإن الإنجازات الإبداعية تبقى مفتوحة لكل إمكانيات الاستثمار والقراءة بفضل ارتباطها بخاصية التعبير التى تتخذ أبعادها الأكثر دلالة مع الفضاءات اللغوية التى كانت وستبقى المجال الأكثر امتلاءً بالرموز والمعانى خاصة تلك التى ما تزال محافظة على عذريتها وعفويتها بعيداً عن الإكراهات التأسيسية التى تسجن الطاقة الإبداعية والتعبيرية للغة. . وهكذا فإن «ما يرمى إليه ميرلوبونتى هو أن الجدة، والإبداعية ليس لهما مكان فى اللغة المترسبة، ولا فى صيغة الكلام المتأسسة، والمتشكلة، والمثبتة سلفاً فيما ينعتق من القيد هو شكل آخر من أشكال التعبير ، ونمط آخر من أنماط التواصل ، ولغة غير مباشرة لم تشفّر، ولم تجمد بعد، لغة غالباً ما تستعين بصيغ إبداعية نبيلة . . وغالباً ما يستعين ميرلوبونتى بفن الرسم كنموذج على هذه اللغة غير المباشرة (. . .) ففن الرسم، كما يرى (. . .) يجلّى قوى اللغة غير المباشرة، وهى لغة معبرة لغة تتكلم من دون أن تتحول دائماً إلى ما تدعوه «كريستيفا» الجانب الرمزى. ومع ذلك يرى ميرلوبونتى أن الشعر قادر - واللغة الأدبية بعامة كذلك- على أداء هذه اللغة غير المباشرة، لغة الصمت ، اللغة التى لا يتكلم فيها المعنى المتأسس إنما نظام آخر من المعنى والتعبير»[48]. والحديث عن أنماط التعبير ومستويات اللغة يوصل ميرلوبونتى إلى التنويع فيه وإغنائه بمختلف الإمكانات انطلاقاً من تمييزه الأساسى والمحورى، الذى تحدثنا عنه، والذى يفصل إجرائياً ما بين

الكلام النّاطق والكلام المنطوق، فحرية الانتقال والحركة من سياق إلى آخر ومن مستوى معين إلى مستوى آخر مغاير ، هو ما يسمح للغة بالمحافظة على إمكانية القول لأن الإبقاء على الإمكانية مفتوحة فى انتظار لحظة إنجاز مرتقبة هو الذى يمكّن أشكال التعبير المتعددة من أن تستثمر قدراتها الإبداعية بوتيرة تجعلها قادرة على الإفصاح عن مكنوناتها وأسرارها.

إن الذات المتكلمة بالنسبة لميرلوبونتى تتقاطع مع ذوات أخرى مغايرة ضمن فضاء متنوع من العلاقات والإكراهات ، ومن ثمة فإن الفاعلية اللغوية وما يرتبط بها من قدرات إبداعية وجمالية هى محصلة امتزاج شفاف وعميق لجوانب مختلفة ناتجة عن تفاعلات ضمنية ما بين الذات المتكلّمة وما يحيط بها من ذوات مغايرة تعمل على إبقائها يقظة ومتوثبة لاقتحام مجاهيل جديدة. .

ويمكننا أن نقول فى الأخير أن اللّغة بكل تعابيرها ومفاهيمها هى بالنسبة لـ «ميرلوبونتى» أكثر من مجرد موضوع للتأمل أو التفلسف والتنظير، إنّها بمثابة الإمكان الذى تتحقق انطلاقا منه أى فلسفة سابقة أو لاحقة، فليست اللغة بالنسبة للفلسفة لاتابعاً ولا متبوعاً إنّها على الأرجح التابع والمتبوع ، الراهن والآتى ، الذات والموضوع فى ذات اللحظة، لأنّ المعادلة الإبداعية لا تستطيع أن تنشطر دون أن تتبدد وتتحول إلى ما يشبه العدم ، فالجواهر ترتبط بالكليات أما الأجزاء فيلقى بها عادة فى سراديب وأقبية العرضى الذى يحتمل أن يحبل بجواهر من نوع آخر!!

الهوامش

(1) J.P. Charcosset: la tentation du silence, in revue « Esprit », numéro spécial sur Maurice Merleau-Ponty, n°66, Juin 1982, p. 54.

(2) Ibid. p. 55.

(3) Ibid. pp. 56-57.

(4) M.Merlcau-Ponty: Signes, Gallimard, Paris, 1960, p. 26.

(5) Ibid. p. 26.

(6) Ibid. p. 97.

(7) Ibid. p. 108.

(8) Ibid. pp. 109-110.

(9) Ibid. voir: pp. 52-55-96.

(10)Ibid. p. 103.

(11) M. Merleau-Ponty: Phénoménologie de la perception, Gallimard, Paris, 1945, p.204.

(12) Ibid. p. 208.

(13) Ibid. p. 210.

(14) Ibid. voir: pp. 210-211-212-213.

(15)Ibid. p. 217.

(16) موريس ميرلوبونتي : المرئي و اللامرئي، ترجمة. سعاد محمد خضر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، ص 194.

(17) J.P Charcosset: Op.cit., p. 58.

(18) M.Merleau-Ponty: La nature-notes-(cours du collège de France établis et notés par Dominique Séglard), ed. Seuil, Paris, pp. 216-217.

(19) Merleau -Ponty: Signes, Op.cit., p. 104.

(20) موريس ميرلوبونتي: المرئي و اللامرئي، مرجع سابق، ص 195.

(21) J.P. Charcosset: Op.cit., p. 59.

(22) R. Barbaras: Encyclopédie philosophique universelle. t. 3, « Les oeuvres philosophiques », volume dirigé par Jean-Francois Mattei, P.U.F, Paris , 1992, p.3541.

(23) J.P Charcosset: Op.cit., p. 57.

(24) Marleau -Ponty: Signes, Op.cit., p. 121.

(25) موريس ميرلوبونتي: المرئي و اللامرئي، مرجع سابق، ص 203.

(26) Pol Vandevede: Revue « Etudes phénoménulogiques », tome x, n° 20, Editions ousia, Bruxelles, pp. 4-5.

(27) Ibid. p. 5.

(28) I bid. p. 6.

(29) I bid. p. 7.

(30) Edmund Husserl: L'origine de la géométrie, traduction et introduction par Jacques Derrida, P.U.F, Paris, 1962, p. 182.

(31) I bid. p. 183.

(32) Maria Pia Pozzanto: l'Arc phénoménologique et la fléche sémiotique, in « lire Greimas », editeur Pierre Mardaga, Liege, 1990, p. 62.

(33) I bid. p. 66.

(34) I bid. p. 67.

(35) I bid. p. 67.

(36) I bid. p. 68.

(37) I bid. p. 70.

(38) I bid. p. 72.

(39) ميرلوبونتي: المرئي و اللامرئي، مرجع سابق، ص 183.

(40) Maurice Merleau–Ponty: L'œil et l'esprit, Gallimard, Paris, 1964, p. 44.

(41) ج. هيوسلقرمان: نصيات (بين الهيرمينوطيقا و التفكيكية)، ترجمة. حسن ناظم وعلى حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–بيروت، ص 266.

(42) المرجع نفسه، ص 268.

(43) المرجع نفسه، ص 271.

(44) Maria Pia Pozzanto : L'arc phénoménologique..., Op.cit., pp. 63-64.

(45) ميرلوبونتي: المرئي و اللامرئي، مرجع سابق، ص 18.

(46) ج. هيسلقرمان: نصيات، مرجع سابق، ص 268.

(47) Merleau-Ponty: l'œil et l'esprit, Op.cit., pp. 92-93.

(48) ج. هيسلقرمان: نصيات، مرجع سابق، ص 261.